جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية

السنة الحادية عشر، المجلد الحادي عشر، العدد الخامس والأربعون

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (١٢٣٥) سنة ٢٠٠٩م

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية

مجلة علمية فصلية محكمة

محرم ١٤٤٢هـ

أيلول ٢٠٢٠م

ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

١. تهدف مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية إلى نشرِ البحوث الإنسانية العلمية الأصيلة والمتميزة.

٢. تُصدر المجلة أربعة أعداد في السنةِ، وتُنشر البحوث باللّغةِ العربيةِ.

٣. تقوّم البحوث من قبل خبيرين اثنين في التخصص العلمي الدقيق لموضوع البحث وفي حال اختلاف هما في التقييم فترسل إلى محكم ثالث ، كما يقوم البحث من قبل خبير لغوي.

١. يشترط في البحثِ أن لا يكون قد نُشِرَ أو قُبِلَ للنشرِ في أيّ مجلةٍ أُخرى.

٢. إنّ ملاحظات المحكمين ترسل كاملة للباحث، ولا ينشر البحث إلا بالأخذ بملاحظات المحكمين، وأن يكون الإرسال والتخاطب إلكترونيا لا ورقيا، وكذا التصويب

اللغوي يرسل للخبير اللغوي، ويتم تصويب البحث من قبل أستاذ من أصحاب التخصص باللغة، إلكترونيا .

٣. يشترط أن تكون البحوث في اختصاصات (العلوم الإسلامية في جميع فروعها، والعلوم الأُخرى المُتعلّقة بالعلومِ الشرعيةِ) .

٤. يشترط في البحث المقدم إلى مجلتنا فحصه على برنامج (turnitin) على أن لا تزيد نسبة الاستلال في البحث عن ٢٠% على وفق التعليمات النافذة.

٥. على الباحثِ أو الباحثين إرسال ثلاث نسخ مطبوعة من البحثِ، ويطالب الباحث بنسخة مطبوعة جديدة وبقرصٍ مدمجٍ للبحثِ بعد قبولهِ للنشرِ وتقييمه من قبل الخبراء .

٦. يطالب الباحث بملخص تعريفي للبحث باللّغتين العربية والإنجليزية، على أن لا يزيد على (٢٠٠) كلمة مصادق عليهِ من قبل المركز الاستشاري للترجمة في كلية التربية/ جامعة الأنبار، مع قرصٍ مدمجٍ بذلك.

٧. يطبع البحث بالحاسوب وبمسافات منفردة وعلى وجه واحد على ألّا يزيد على (٣٠) سطراً في الصفحة الواحدة .

٨. لا تنشر البحوث إلّا بعد دفع أجور النشر والتقويم من قبل الباحثين .

٩. أجور النشر، كالآتي:

أ- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (أستاذ) مبلغ قدرهُ: (٧٥,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقي للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا أجور الخبراء .

ب- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (أستاذ مساعد) مبلغ قدرهُ: (٦٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقي للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا أجور الخبراء .

ت- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (مدرس فما دونه) مبلغ قدرهُ: (٥٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقي للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا أجور الخبراء .

ث- يُضاف مبلغ قدرهُ: (٢٥٠٠) ألفان وخمسمائة دينار عراقي عن كلِّ صفحةٍ زائدةٍ على الخمس والعشرين صفحة الأولى.

ج- يضاف مبلغ قدرهُ: (٣٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقي، عن أجور الخبراء (للبحوث الشرعية والعلوم المتصلة بها) .

ح- يتم استلام مبلغ مقدّم يودع في المجلة قدره: (١٢٥,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقي كتأمينات، من كلِّ باحثٍ (من ضمنها أجور الخبراء المُشار لها في أعلاه)، ويتم احتساب التكاليف النهائية للنشر بعد نشر البحث في المجلة.

خ- في حالة سحب البحث من قِبَل الباحث بعد ارسال البحث إلى الخبراء، يُعاد المبلغ الذي تم استلامهُ من الباحثِ ويخصم منهُ أجور الخبراء فقط.

د- يزود الباحث بمستلة من بحثِهِ.

ذ- يتحمل الباحث المسؤولية القانونية الكاملة في حالة الاعتداء على الحقوق الفكرية للآخرين.

الشروط الفنية

١٠. البحوث المنشورة لا تمثل رأي المجلة، وإنّما تمثل رأي أصحابها فقط.

١١. لا تعاد مسودات البحوث إلى أصحابها سواء أنشر البحث أم لم ينشر.

١٢. إعداد الصفحة: أعلى وأسفل (٢) سم يميناً ويساراً (٢)سم حجم الورقة (B5) يكتب البحث على وجهٍ واحدٍ (صفحة) من الورقة وترقم الصفحات.

١٣. تكتب الحروف العربية بالخط (Simplified Arabic) .

١٤. يكتب على الصفحة الأولى فقط من البحث عبارة (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية)أعلى يمين الصفحة ، ويكون تحتها خط من يمين إلى يسار الصفحة (١٢ اسود عريض) .

١٥. يكون عنوان البحث الرئيس بالحجم (١٨) اسود عريض وسط الصفحة.

١٦. تكتب أسماء الباحثين وعناوينهم بالحجم (١٧) اسود عريض وسط الصفحة

١٧. يكون تسلسل الكتابة للبحث على النحو الآتي: عنوان البحث الرئيس، أسماء الباحثين وعنواناتهم، ملخص البحث باللغتين العربية والإنكليزية، المقدمة، المباحث أو المطالب، الخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

١٨. تكتب العنوانات الأولية: (المقدمة ،المباحث أو المطالب ،الخاتمة ،الهوامش، المصادر) بالحجم (١٦) أسود عريض وسط الصفحة.

١٩. تكتب العنوانات الثانوية بالحجم (١٥) اسود عريض يمين الصفحة.

٢٠. يكتب متن البحث بالحجم (١٤) مع ضبط الصفحة وتترك مسافة بادئة (١سم) للسطر الأول فقط لكل فقرة من المتن.

٢١. توضع الهوامش في نفس الصفحة مع متن البحث ويكون حجم الخط (١٢) ويكون رقم الهامش بين قوسين على الشكل التالي (١) ويكون ترقيم الهوامش لكل صفحة على حدة.

٢٢. يكون ترتيب المصادر بحسب الحروف العربية ويكون ترقيمها تلقائياً باستخدام التنسيق الذي يكون فيه الرقم مع نقطة فقط.

٢٣. يوضع بين كل فقرة وأخرى مسافة (١٠ سم) (عنوان البحث الرئيس ،أسماء الباحثين وعنواناتهم) .

١. للأفراد والجامعات والدوائر الأخرى داخل العراق (٥٠,٠٠٠) خمسون ألف دينار عراقي.

٢. للأفراد والجامعات والمنظمات والشركات خارج العراق (٦٠ $) دولاراً أو ما يعادله بالدينار العراقي بحسب سعر صرف البنك المركزي العراقي.

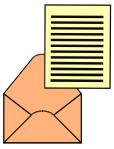

توجه المراسلات إلى

العنوان الآتي:

جمهورية العراق- محافظة الأنبار- جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية/ الرمادي

مدير التحرير: أ.م. د. **تكليف لطيف رزج**

Email : Islamic_anbcoll@univ_anbar.org

الموقع الإلكتروني الجامعي

www. univ_anbar.org

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
فراس يحيى عبد الجليل

مدير التحرير
الأستاذ المساعد الدكتور
تكليف لطيف رزج

أعضاء
هيئة التحرير

١. أ.د. عبد الرحمن حمدي شافي
٢. أ.د. إبراهيم رجب عبدالله
٣. أ.د. صهيب عباس عودة
٤. أ.د. إدريس عسكر حسن
٥. أ.د. صادق خلف أيوب
٦. أ.د. عبدالله محمد الفلاحي
٧. أ.د. أحمد طوران أرسلان
٨. أ.د. عبد الراضي محمد عبدالمحسن

المحتويات

ت	البحث	الباحث	بحث في	الصفحة
١	التّأثيل لحاكميّة التّنزيل بين المقروء والمرسوم	الأستاذ المساعد الدكتورة ولاء بنت عبد الرحمن البرادعي	قراءات	١ ـ ٤٠
٢	لفظة (يُكتَب حديثه ولا يُحتجُّ به) عند أبي حاتم الرازي (٢٧٧هـ) دراسة نقدية	السيدة منال نبيل أحمد أ.م.د علي محمد مهيدي	حديث	٤١ـ٧٢
٣	الرواة الذين وصفهم إسحاق بن راهويه بالكذب والوضع في الحديث دراسة مقارنة	م.د.محمد محيسن حمدان	حديث	٧٣ـ١٢٠
٤	أحاديث عدم دخول الطاعون إلى المدينة دراسة حديثية موضوعية	م.د. سعد صبار صالح	حديث	١٢١ـ١٥٦
٥	فقه التحكيم في المذهب الحنبلي	الأستاذ المشارك الدكتور عبد المجيد بن محمد السبيل	فقه	١٥٧ـ٢٠٠
٦	ترجيحات البيهقي في كتابه الخلافيات في باب ما يفسد الصلاة دراسة فقهية مقارنة	السيدة سمر عبد العزيز رجب أ.م.د. عبد مخلف جواد	فقه	٢٠١ـ٢٤٦
٧	التبعية في الاقتصاد الإسلامي آثارها وعلاجها	م.د. محمد يوسف محمد م.م. بكر محمود علو السيدة شفاء رضا عبدالرزاق	اقتصاد إسلامي	٢٤٧ـ٢٨٤
٨	المسالك النقلية في تقرير الخصائص الإلهية	الأستاذ المشارك الدكتور سلطان بن عبد الرحمن العميري	عقيدة	٢٨٥ـ٣١٦
٩	تلخيص التجريد لعمدة المريد شرح جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم اللقاني من اللوحة (٢٩٥) إلى اللوحة (٢٩٨) دراسة وتحقيق	م٠م .عامر عبدالعزيز علي أ.م.د. محمد سلمان داود	عقيدة	٣١٧ـ٣٦٠
١٠	تقليد بعض المسلمين لعادات الغرب وموقف الشريعة منها	م.د. فراس فاضل فرحان	عقيدة	٣٦١ـ٣٩٦
١١	الحكم بالديمقراطية من المنظور الشرعي	م.م.: يوسف الحاج بكار أ.م.د. سعدان بن مان م.د.شاهدرا بنت عبد الخليل	فكر	٣٩٧ـ٤٢٦

البحث رقم (٨)

المسالك النقلية في تقرير الخصائص الإلهية

الأستاذ المشارك الدكتور
سلطان بن عبد الرحمن العميري
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
soltan 866@hotmail.com

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ملخص باللغة العربية

أ.م.د. سلطان بن عبد الرحمن العميري

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تنوع أدلة خصائص الله في نصوص الكتاب والسنة وتعدد أصنافها، وإثبات أنها سلكت مسالك متعددة من التراكيب المختلفة في دلالتها، فأضحت المسالك النقلية الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بخصائصه من أوسع الأبواب وأكثرها ثراءً وعمقا ، ومعالجة عدد من المشكلات، أهمها: تحديد مفهوم الخصائص الإلهية وضبط أقسامها إجمالا، والكشف عن عمق الدلالات التي اعتمدت عليها النصوص الشرعية في إثبات خصائص الله وثرائها وقوتها في الدلالة، والجواب عما يمكن أن يرد على الدلالة الشرعية في تقرير الصفات الإلهية من إشكالات.

الكلمات المفتاحية: المسالك النقلية ، الخصائص ، الإلهية

THE SHARIA WAYS FOR PROOFING THE CHARACTERISTICS OF THE GOD

Ass. Prof. Dr. Soltan Ibn Abd El Rahman El Emiry

Summary

This research aims to demonstrate the diversity of evidence of God's Almighty characteristics in the texts of the Qur'an and Sunnah and the multiplicity of their varieties. And prove that it followed multiple paths of different structures in their significance. So that it is clear that the scriptural (sharia) paths became one of the widest, richest, and deepest paths, indicating the necessity of monotheism of Allah (singling out God Almighty) for his characteristics, and to address the number of objections. The most important: Defining the concept of God's Almighty characteristics and adjusting their divisions in general. And to disclosure of the depth, richness and strength of the Significance upon which the scriptural (sharia) relied on proving God's Almighty characteristics. And the respond for the objections that can be directed to the Sharia evidence significance in proofing God's Almighty characteristics.

Key words: Transmission Tracts, Characteristics, The Divine

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن من أعظم ما يقوم عليه دين الإسلام قضية التوحيد وما يتعلق بها، وقد اهتمت الشريعة الغراء بهذا الموضوع كثيرا، من جهة تبيين حقيقته وحقيقة ما يضاده من الشرك ونحوه، ومن جهة دلائله وبراهينه.

فقد تنوعت أدلة التوحيد في نصوص الكتاب والسنة كثيرا وتعددت أصنافها، فبعضها أدلة عقلية، وبعضها أدلة نقلية خبرية، والخبرية منها سلكت مسالك متعددة من التراكيب المختلفة في دلالتها.

فأضحت المسالك الشرعية الدالة على وجوب التوحيد وإفراد الله تعالى بخصائصه، وتحريم الشرك وصرف شيء من خصائص الله إلى الخلق؛ أضحت هذه المسالك من أوسع الأبواب وأكثرها ثراءً وعمقا.

ولأجل هذا انبثقت فكرة البحث في المسالك الشرعية الدالة على خصائص الله تعالى وتحرير النظر فيها وفي أقسامها ودفع ما يشكل عليها من المعارضات.

أهمية الموضوع:

يمكن أن نبرز أهمية الموضوع في عدد من الأمور:

الأمر الأول: أن الكشف عن التنوع في المسالك الدلالية من أقوى ما يبين الحق في قضية التوحيد والشرك.

الأمر الثاني: أن الكشف عن التنوع في المسالك الدلالية من أشد ما يظهر اهتمام الشريعة بموضوع التوحيد والشرك، ويبرز حرصها.

الأمر الثالث: أن الكشف عن التنوع الدلالي من أقوى ما يعين المدافع عن الحق

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

في نصرته، والجواب عما يمكن أن يعترضه من إشكالات وشبه.

الدراسات السابقة:

لم أقف –بعد البحث والتنقيب– على دراسة سابقة أفردت موضوع المسالك التي اعتمدت عليها النصوص في تقرير خصائص الله تعالى بالبحث والدراسة.

خطة البحث:

قامت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة، ففيها التعريف بالموضوع وبيان أهميته.

وأما التمهيد، ففيه بيان مفهوم الخصائص الإلهية ومفهوم المسالك النقلية.

وأما المبحث الأول، ففيه بيان لأفراد المسالك النقلية الدالة على الخصائص الإلهية.

وأما المبحث الثاني، ففيه دفع للاعتراضات المتوهم ورودها على المسالك النقلية في الخصائص الإلهية.

وأما الخاتمة، ففيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

التمهيد:

مفهوم الخصائص الإلهية والمسالك النقلية

تعريف الخصائص:

يرجع معنى الخصائص إلى الانفراد والتميز، فابن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) يرجع مادة "خصص" إلى الانفراج بين الشيئين الذي يتضمن الانفراد والتميز، فيقول: "الخاء والصاد: أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة... ومن الباب: خصصت فلانا بشيء خصوصية، بفتح الخاء، وهو القياس؛ لأنه إذا أُفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره"(١).

ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): "خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا، وخصصه واختصه: أفرده به دون غيره"(٢).

والمراد بخصائص الله: الأمور والمعاني التي لا يتصف بها غيره، ولا تثبت إلا له تعالى، ولا يمكن أن تثبت لغيره من المخلوقين.

فهي خاصة به سبحانه دون غيره من الخلق، لا يتصف بها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولم يعطها الله لأحد منهم ولا من غيرهم، يقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م): "خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته"(٣)، ويقول: "الذي يجب نفيه عن الرب تعالى: اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين، كما أن المخلوق لا يتصف بشيء من خصائص الخالق، أو أن يثبت للعبد شيء يماثل فيه الرب"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس: ١٥٢/٢.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: ٤٩٤/٤.

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: ١١١/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٥٩٥/٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

مفهوم المسالك الشرعية:

المسالك: جمع مسلك، ومعناه في اللغة يرجع إلى الدخول في الطريق، يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): "السين واللام والكاف: أصل يدل على نفوذ شيء في شيء. يقال: سلكت الطريق، أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته"(١)، ويطلق على الطريق نفسه، يقول الأزهري (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م): "المسلك: الطريق، والسلك: إدخال الشيء تسلكه فيه"(٢)، ومنه قول أبي هريرة ﷺ: "ما أجد له مسلكا"(٣)، أي: طريقا ومنفذا.

والنقلية: نسبة إلى النقل، وهو مصطلح يعبر به في المصنفات الشرعية عما جاء في نصوص الكتاب والسنة؛ إذ هي المعبرة عن مقصود الشريعة وبيان مقاصدها.

وهذا القيد يخرج المسالك العقلية، فهي من المسالك الشرعية المعتبرة، ومن المعلوم أن كون الدليل عقليا لا يقابل بكونه شرعيا، فالدليل العقلي ليس قسيما للدليل الشرعي وإنما هو قسم منه، والذي يقابل الدليل الشرعي هو الدليل البدعي، والدليل الشرعي قد يكون عقليا وقد يكون نقليا خبريا(٤).

وتفصيل المسالك العقلية له محل آخر، وسنقتصر في هذا البحث على بيان المسالك النقلية فقط، كما هو عنوان البحث.

وبناء على هذا فالمراد بالمسالك النقلية: التراكيب اللفظية التي اعتمدت عليها الشريعة الإسلامية في بيان الخصائص الإلهية وتقريرها، وإنفاذها إلى قلوب الناس وعقولهم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٩٧/٣.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري: ٣٨/١٠.

(٣) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا. (٦٤٥٢)، ٩٦/٨.

(٤) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: ١٩٨/١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المبحث الأول:

أفراد المسالك النقلية على الخصائص الإلهية

سبق بيان أن المراد بالمسالك النقلية: الطرق والدلالات التي لا تعتمد إلا على المقدمات والأساليب اللفظية والتراكيب الكلامية، ودراسة هذه المسالك اشتركت فيه علوم متعددة، كعلم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم العقيدة وعلم التفسير، فلا بد في أثناء دراسة هذا النوع من الأبحاث من الاطلاع على كل تلك العلوم وغيرها حتى يجمع الباحث بين خصائص العلم منها في هذه القضية.

والمسالك النقلية الدالة على الخصائص الإلهية كثيرة ومتنوعة في النصوص الشرعية، فبعضها مجمع عليه، كالحصر بالنفي والاستثناء، وبعضها مختلف فيه، كالحصرب"إنما" فقد نازع بعض العلماء في دلالتها على ذلك(١) ، وبعضها معتمد على أدوات الحصر المصطلح عليها في علم البلاغة؛ كالحصر بإنما، وبالنفي والاستثناء، والتقديم والتأخير وغيرها، وبعضها معتمد على أساليب الحصر العامة غير المصطلح عليها، وهي كثيرة لا يكاد يأتي عليها عدد، وبعضها سيقت على أنها من كلام الأنبياء والملائكة والصالحين، وبعضها من كلام الله تعالى، وبعضها مجمع على قوته في الدلالة على الحصر وبعضها ليس كذلك، وأما الأمثلة المندرجة فيها فبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه.

وليس الغرض من هذا البحث تحقيق النظر في كل هذه الأمور، ولا استيعاب كل ما يتعلق بصور مسالك الحصر وأمثلتها، إنما الغرض بيان أهم أصول المسالك النقلية ودلالاتها على الخصائص الإلهية، وبيان كثرتها وتنوعها وأثرها في البحث العقدي.

وسيكون عرض المسالك مختصرا بحيث يكون قائما على ذكر المسلك والتعريف

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٢٣٧/٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

به مع ذكر عدد من الأمثلة المندرجة ضمنه، وقد بلغ عدد المسالك المعروضة في هذا البحث أحد عشر مسلكا:

المسلك الأول: الحصر بالنفي والاستثناء، والمراد به: التركيب الكلامي الذي يتضمن نفي أمر عن أمر ثم استثناء أمر مما نُفي.

والنفي له أدوات متعددة؛ مثل: ما النافية، وإنْ النافية، ولا النافية، وليس، والاستفهام الذي بمعنى الإنكار، ويدخل فيه النهي وغيرها من الأدوات، وكذلك الاستثناء له أدوات متعددة؛ مثل: إلا، وغير، وغيرهما(١).

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في خصائص الله تعالى.

فمما جاء منه مما يدخل في توحيد الربوبية والصفات(٢): قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]، "أي: ما أصابنا فليس منكم ولا بكم، بل الله هو الذي أصابنا وكتب..."(٣).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦]، يقول أبو حيان (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م): فيها "حصر كينونة النصر في جهته"(٤)، والمعنى: وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة، فهم مجرد أسباب وبشارة أرسلها الله إليكم(٥).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني ٢٣/٣.

(٢) سيكون الحديث عن توحيد الربوبية والصفات مجتمعا؛ مراعاة لكونهما يندرجان في معنى واحد من حيث العموم.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي ٤٣٢/٥.

(٤) المصدر نفسه ٣٣٦/٣.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣٨/٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

[الأعراف:١٨٨]، فهذه الآية فيها قصر امتلاك النفع والضر على الله تعالى بأسلوب النفي والاستثناء، يقول الألوسي (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) عن هذه الآية: فيها: "سلب لاستقلاله في التأثير وبيان لأنه لا يملك إلا ما أذن الله تعالى فيه، وهذا نوع من توحيد الأفعال"(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، فهذه الآية دلت على أن من خصائص الله تعالى التفرد بعلم الغيب، يقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): "قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له"(٢).

وقد جاءت آيات متعددة في صفة العلم بالغيب بأسلوب الحصر المعتمد على النفي والاستثناء، منها: قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ومن ذلك قوله ﷺ: "إن أخنع اسم عند الله: رجل يسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله"(٣)، ومعنى الحديث: أنه لا مالك على جهة الاستقلال والعموم إلا الله تعالى، فهذا النوع من الملك لا يمكن أن يكون لأحد من المخلوقات، فهو من خواص الله تعالى.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: ١٦٤/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٠٧/٦.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله (٦٢٠٦)، ومسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك (٢١٤٣).

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ومما جاء في توحيد الألوهية: ما جاء في الشهادة لله بالتفرد بالألوهية، وقد جاءت بعدد من الصيغ وعدد من الأساليب الدالة على الحصر بالنفي والاستثناء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود:٢]، في عدد من المواضع في سورة هود وغيرها، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

وكل هذه الآيات وغيرها تدل على حصر استحقاق الألوهية لله تعالى، فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه وتعالى، وقد توارد علماء الإسلام على تقرير هذا المعنى، يقول الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م): "قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل:٩]، يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، فهذه الآية تدل على خاصية من خصائص الله تعالى، وهي أنه لا أحد يستحق أن يخاف منه خوف عبادة وتضرع إلا هو سبحانه، ولا أحد يستحق أن يقدم الخوف منه على خوف كل أحد إلا هو سبحانه، وقد حمل كثير من المفسرين هذه الآية على أن المراد بها الخشية الدينية العبادية، يقول الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م): "ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣٥٧/٢٠؛ وينظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبدالجبار: ٢١١/٥؛ وتأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي: ١٩٨/٩.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

سوى الله"[١].

ولهذا يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م): "فإن قلت: كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها؟ قلت: هي الخشية والتقوى في أبواب الدين، وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف"[٢].

المسلك الثاني: تقديم ما حقه التأخير في الكلام، ومعناه أن يكون الكلام مختلف الترتيب، فيقدم فيه الأمور التي تؤخر في الأصل غالبا، فيقدم الخبر على المبتدأ والمفعول به على الفاعل وهكذا، وقد نص عدد من العلماء على أن هذا الصنيع من أساليب الحصر وبيان الاختصاص[٣].

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في بيان خصائص الله تعالى، وخاصة فيما يتعلق بربوبية الله وتدبيره للكون.

فمما جاء من ذلك في توحيد الربوبية والصفات: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فهذه الآية تدل على أنه لا خالق على الحقيقة إلا الله، ولا آمر على الحقيقة إلا الله بأسلوب التقديم والتأخير، وأصل ترتيب الكلام: الخلق والأمر له، يقول الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢١٠م): "الآية دلت على أنه لا خالق إلا الله؛ لأنه قال: ألا له الخلق والأمر، وهذا يفيد الحصر، بمعنى أنه لا خالق إلا الله، وذلك يدل على أن كل أمر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو إنسي، فخالق ذلك الأمر في الحقيقة هو الله سبحانه لا غير"[٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣٧٦/١١، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: ١٥/٣.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: ٢٥٥/٢.
(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢٨/٣؛ وشرح تنقيح الفصول، القرافي: ٥٧.
(٤) التفسير الكبير، الرازي: ٢٧٥/١٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

[هود: ٦]، فهذه الآية تدل على أنه لا رازق على الحقيقة إلا الله تعالى، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء بأسلوب التقديم والتأخير، وأصل ترتيب الكلام: رزق الدواب على الله، يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "تقديم (على الله) قبل متعلقه وهو رزقها؛ لإفادة القصر، أي: على الله لا على غيره"(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التغابن:٣]، وغيرها من النصوص، فهي كلها دالة على الحصر وإثبات خصائص الله تعالى بأسلوب التقديم والتأخير في الكلام.

ومما جاء من ذلك في توحيد الألوهية: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فقد دلت هذه الآية على أنه لا يُعبد إلا الله ولا يُستعان بأحد على الحقيقة إلا هو، يقول الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م) مبينا الأسلوب الحصري الذي تضمنته هذه الآية فيقول: "أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله؛ لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات، فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٥/١٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وقد أشار إلى النفي من لا إله إلا الله بتقديم المعمول الذي هو (إياك)، وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة. وفي المعاني في مبحث القصر: أن تقديم المعمول من صيغ الحصر. وأشار إلى الإثبات منها بقوله: (نعبد)"[١].

وقريب منها قوله تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، وفي بيان دلالتها يقول الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م): "قدم المفعول في قوله: وإياي فارهبون، للدلالة على الحصر. وقد تقرر في الأصول في مبحث مفهوم المخالفة، وفي المعاني في مبحث القصر أن تقديم المعمول من صيغ الحصر، أي: خافون وحدي، ولا تخافوا سواي"[٢].

ومن هذا الأسلوب في توحيد العبادة: قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح:٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ [البقرة:١٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم:١٢].

المسلك الثالث: الحصر بضمير الفصل، والمراد به أن يفصل بين المتعاقبين في الكلام بضمير فصل ظاهر، كأن يفصل بين المبتدأ والخبر بذلك، وقد قيل في تعريف ضمير الفصل: هو حرف يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله كذلك[٣].

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا فيما يتعلق بخصائص الله تعالى.

فمما جاء من ذلك في توحيد الربوبية والصفات: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: ٧/١.
(٢) المصدر نفسه: ٣٨٣/٢.
(٣) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ١٠/٣؛ والبحر المحيط، الزركشي: ١٨٩/٥.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٨٥]، ففي هذه الآية قصر للرزق على الله تعالى، فلا رازق في الحقيقة إلا هو سبحانه، وكل أسباب الرزق في الوجود فهي من بعد إذنه، يقول الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٨٥]، طريق قصر لوجود ضمير الفصل، أي: لا رزاق، ولا ذا قوة، ولا متين إلا الله، وهو قصر إضافي، أي دون الأصنام التي يعبدونها"(١).

ومما جاء بهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٨]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم:٤٣، ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم:٤٨، ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ [الشورى:٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة:١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج:٦]، ومعنى الآية أنه لا أحد له الحق في الألوهية إلا الله، ففيها بيان لاختصاص الله بالألوهية الحقة، يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "الحق: المطابق للواقع، أي الصدق، مأخوذ من حق الشيء إذا ثبت: والمعنى: أنه الحق في الإلهية، فالقصر في هذه الجملة المستفاد من ضمير

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٩/٢٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الفصل قصر حقيقي"[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠]، ففي هذه الآية حصر لطرق الهداية إلى الرشاد فيما يتفضل الله به على عباده من الوحي والتوفيق، يقول أبو حيان (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) بعد أن بين أن الهدى التام هو الإسلام وعبادة الله تعالى: "أكد الجملة بأن وبالفصل الذي قبل، فدل على الاختصاص والحصر، وجاء الهدى معرفا بالألف واللام، وهو مما قيل: إن ذلك يدل على الحصر، فإذا قلت: زيد العالم، فكأنه قيل: هو المخصوص بالعلم والمحصور فيه ذلك"[٢].

المسلك الرابع: الحصر بإنما، ومعنى ذلك: أن يستعمل في الكلام حرف "إنما" الدال على إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه[٣]، وقد ذكر عدد من العلماء أن أنما–بالفتح– مثل "إنما" في الدلالة على الحصر[٤].

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في بيان خصائص الله تعالى.

فمما جاء من ذلك في توحيد الربوبية والصفات: قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠]، ففي هذه الآية بيان بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولهذا يقول الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م): "أي: لا يعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه، لأنه لا يعلم الغيب وهو السر والخفي من الأمور إلا الله"[٥].

ويقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) في بيان الغرض من هذا القصر: "جاء الكلام بصيغة القصر للرد عليهم في اعتقادهم أن في مكنة الرسول الحق

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣١٦/١٧.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٥٩٠/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط، الزركشي: ٣٢٤/٢.

(٤) انظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي: ٢٩٥٨/٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٤٤/١٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

أن يأتي بما يسأله قومه من الخوارق"[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ففي هذه الآية بيان بأن أمر المختلفين في دينهم لا يكون إلا بيد الله لا بيد أحد سواه، يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "صيغة القصر لقلب اعتقاد السائل المتردد، أي: إنما أمرهم إلى الله لا إلى الرسول ﷺ ولا إلى غيره، وهذا إنذار شديد"[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

ومما جاء من ذلك في توحيد الألوهية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النساء:١٧١]، ففي هذه الآية إبطال لاعتقاد النصارى وتأكيد أن الله تعالى واحد فرد، يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النساء:١٧١]، قصر موصوف على صفة، لأن "إنما" يليها المقصور، وهو هنا قصر إضافي، أي: ليس الله بثلاثة"[٣].

وهذا الأسلوب تكرر مرارا في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٣١/١١.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٢/٨.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨/٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المسلك الخامس: تعريف الجزأين، ومعنى ذلك أن يكون المبتدأ والخبر في الكلام معرّفين، فهذا الأسلوب يفيد حصر الخبر في المبتدأ(١).

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في بيان خصائص الله تعالى.

ومما جاء من ذلك في توحيد الربوبية والصفات: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المائدة:١٨]، ففيه بيان لعدد من خصائص الله تعالى بأسلوب تعريف الجزأين، ففيها بيان بأنه لا قاهر للعباد على الحقيقة إلا الله وحده، وأنه لا حكيم ولا خبير على الحقيقة إلا الله تعالى.

يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) في بيان هذا المعنى: "أفاد تعريف الجزأين القصر، أي: لا قاهر إلا هو، لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا يجد المقهور منه ملاذا، لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحد خلق ما يدافعها، ومما يشاهد منها دوما النوم وكذلك الموت. سبحان من قهر العباد بالموت"(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام:٦٠]، ففي هذه الآية بيان لواحدة من خصائص الله، وهي أنه لا يتوفى الأنفس في الليل إلا هو سبحانه دون غيره من الخلق، يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام:٦٠]، صيغة قصر لتعريف جزأي الجملة، أي: هو الذي يتوفى الأنفس دون الأصنام؛ فإنها لا تملك موتا ولا حياة"(٣).

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في الأسماء والصفات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) انظر: البحر المحيط، الزركشي: ١٨٤/٥.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦٤/٧.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٧٥/٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣:]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الأنعام:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [الأنعام:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الأنعام:١٤١]، فكل هذه الآيات وغيرها تدل على أن الله مختص بهذه المعاني دون غيره من الخلق اختصاصا يليق به.

ومما جاء من ذلك في توحيد الألوهية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج:٦]، ففيه حصر الحق في الألوهية في الله تعالى بأسلوبين: الأول: استعمال ضمير الفصل، وقد سبق بيانه، والثاني: تعريف الجزأين –الله والحق– وهذا يدل على الحصر أيضا.

المسلك السادس: التصريح بالإثبات لله والنفي عن غيره، ومعنى ذلك أن يكون تركيب الكلام متضمنا إثبات أمر لله تعالى وفي الوقت نفسه نفيه عما سواه.

وهذا الأسلوب جاء كثيرا في إثبات خصائص الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، فهذه الآية دلت على أن الصلاة والذبح والمحيا والممات لا يكون إلا لله وحده دون من سواه بطريق التصريح بإثبات الحكم لله والتصريح بنفيه عمن سواه.

يقول الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): "جملة: "لا شريك له" حال من

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

اسم الجلالة، مصرحة بما أفاده جمع التوكيد مع لام الملك من إفادة القصر، والمقصود من الصفة والحال الرد على المشركين بأنهم ما أخلصوا عملهم للذي خلقهم، وبأنهم أشركوا معه غيره في الإلهية"(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، فهذه الآية لا تختلف عن الآية السابقة في الدلالة على أن من خصائص الله تعالى وجوب الإفراد بالعبادة، ولا تختلف أيضا في الأسلوب الذي اعتمدت عليه.

ومما يدخل في ذلك حديث معاذ بن جبل، قال رضي الله عنه: "كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"(٢).

ومما يدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ففي هذه الآية إثبات للعلم الكامل لله تعالى وعلمه بالخفايا والأسرار، ونفيه عمن سواه من المخلوقات.

المسلك السابع: استعمال الألفاظ الدالة على الانفراد، كلفظ وحده والأحد والواحد ونحوها، سواء في النفي أو الإثبات.

وقد جاء هذا الأسلوب كثيرا في النصوص الشرعية، ومن ذلك: حديث وفد عبد القيس، ففي بعض رواياته: "آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٠٣/٨.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك (٦٢٦٧)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار: (٣٠).

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الله..."[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فمعنى هذه الآية: أن الله متفرد بكل كمال ولا مثيل له ولا شبيه، يقول السعدي (ت١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م): "الأحد يعني: الذي تفرَّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال، فليس له مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات"[٢].

ومما يدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات:٤]، وغيرها من الآيات.

المسلك الثامن: الشرط الترغيبي، ومعنى ذلك أن يكون تركيب الكلام متضمنا لشرط فيه حث وترغيب[٣].

ومن أمثلة هذا المسلك حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: "يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[٤].

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (٥٣)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين، والدعاء إليه. (١٧).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي: ٢٩١.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، محمود توفيق سعد: ٤٠٢.

(٤) رواه أحمد (٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وصححه ابن رجب وغيره.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

يقول ابن رجب (ت:٧٩٥هـ-١٣٩٣م): "أمر بإفراد الله عز وجل بالسؤال ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر الله تعالى بسؤاله"(١).

ويقول ابن الملقن (ت٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) بيان دلالة الحديث :"قوله: "إذا سألت فاسأل الله" هو كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، أي: وحد الله في السؤال، فإن خزائن الوجود بيده وأزمتها إليه، لا معطي ولا مانع سواه"(٢).

المسلك التاسع: نفي الأمر عن كل الخلق، ومعنى ذلك: أن يكون تركيب الكلام متضمنا لنفي الأمر عن أن يكون أحد من الخلق مستحقا له أو قادرا عليه.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ في وصية ابن عباس: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"(٣).

فهذا الحديث يدل على أنه لا أحد يتحكم في الكون وتقديره إلا الله سبحانه وتعالى، فهو في الدلالة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧](٤)، فالمعنى الإجمالي للآية إثبات أنه لا يتحكم في الكون بالنفع والضر إلا الله تعالى.

ومن ذلك قوله ﷺ: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"(٥).

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، ابن رجب: ٧٨.

(٢) المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن: ٢٥٣.

(٣) سبق تخريجه قبل قليل.

(٤) ينظر: المعين في تفهم الأربعين، ابن الملقن: ٢٥٤.

(٥) رواه أحمد (٣٢٧٠)؛ والترمذي (٣٢٥٥)؛ و أبو داود (٣٢٦٦) بلفظ آخر ، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥٤/٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

فهذا الحديث يدل على أن السجود في دين الإسلام خاص بالله تعالى لا يجوز أن يكون لغيره أبدا، فهو يدل على خاصية من خصائص الله التشريعية، يقول المظهري (ت١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) في بيان معنى الحديث :"لا يجوز لأحد أن يسجد لغير الله، ولو جاز أن يسجد أحد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، وإنما ذكر هذا الحديث لبيان أنه لا يجوز السجود لغير الله"(١).

ومن ذلك قوله ﷺ: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله، وإلا فليصمت"(٢)، فهذا الحديث يدل على أن الحلف في الإسلام لا يكون إلا بالله تعالى، فهو خاص به دون غيره من الخلق.

المسلك العاشر: ربط الأمر بإذن الله ومشيئته، وهذا كثير في القرآن، فإذا كان الأمر لا يقع إلا بإذن الله ومشيئته فهذا يدل دلالة قاطعة بأنه خاص بالله تعالى.

ومن أشهر ما جاء فيه هذا الأسلوب قضية الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة:٢٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

(١) المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري: ٨٨/٤.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٦١٠٨).

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

[آل عمران:١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٠٠]، وقو له تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تفيد تعليق الأمور على إذن الله ومشيئته.

المسلك الحادي عشر: الحكم على الفعل بأنه عبادة وتوحيد أو شرك، فكل فعل حكمت عليه النصوص الشرعية بأنه عبادة أو توحيد، فإن ذلك يدل على أنه خاص بالله تعالى لا يجوز أن يصرف لغيره؛ لأن من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام بأنه لا يعبد إلا االله.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ، قال: "إن الدعاء هو العبادة "[(١)]، وكذلك الحال في كل العبادات المشهورة ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، فمجرد ثبوت كونها عبادة يدل بالضرورة على أنها خاصة بالله تعالى.

وكذلك كل فعل حكمت عليه النصوص الشرعية بأنه شرك بالله تعالى أو مضاهاة له أو رتبت عليه العقوبات المتعلقة بالشرك، فإن ذلك يدل على أن الله تعالى متفرد به، لا يجوز أن يشركه فيه أحد من الخلق.

وأمثلة هذا المسلك كثيرة، ومن أمثلته المشهورة قوله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"[(٢)].

فظهر من خلال العرض السابق أن كثيرا من الخصائص الإلهية جاء إثباتها بدلالات متعددة على القصر، فاختصاص الله تعالى بالعلم المطلق جاء بعدد من

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٣٨٦)، والترمذي (٢٩٦٩). وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥). وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الأساليب وكذلك الحال في اختصاص الله بالملك المطلق والنصر المطلق وغيرها من الخصائص.

وهذه نتيجة مهمة لم تظهر إلا من خلال الاستعراض السابق مع اختصاره.

وظهور مثل هذا التنوع في الأساليب يكشف عن اهتمام النصوص الشرعية بالخصائص الإلهية وتركيزها الشديد على غرسها في نفوس المسلمين.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المبحث الثاني:

الجواب عن الإشكالات المتوهم ورودها على دلالة النصوص على الخصائص الإلهية

سبق الكلام في المبحث السابق عن مسالك النصوص الشرعية في دلالتها على الخصائص الإلهية، ومقتضى ذلك: أن ما ثبت كونه من الخصائص الإلهية لا يجوز نسبته إلى غير الله تعالى، ولكن جاء في عدد من النصوص إثبات قدر من الأمور التي ثبتت خصوصيتها بالله إلى المخلوقات.

وقد جاء هذا الصنيع في أكثر من خمسة عشر أمرا، ومن ذلك ما جاء في الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]، وما جاء في الرزق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء:٥]، وما جاء في الإماتة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]، وما جاء في النفع والضر، كما في قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ [النساء: ١١]، وما جاء في كشف الضر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤]، وغير ذلك كثير.

والجواب الصحيح عن هذا الإشكال يتحصل بطريقين:

الأول: الطريق الإجمالي، وذلك بأن يبين بأن إثبات أمر ما من خصائص الله

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

تعالى لا يعني عدم نسبته إلى المخلوق، وذلك أن جهات النسبة في الأفعال مختلفة، فينسب الفعل إلى الله تعالى باعتبار ما يليق به، وينسب إلى المخلوق باعتبار ما يليق به.

ومن أهم مصححات نسبة الأفعال إلى المخلوق أن تنسب إليه على جهة النسبة اللغوية أو السببية أو التقييد، فالخلق أو الإماتة أو النفع أو الضر أو الرزق مثلا تنسب إلى المخلوق على أنه فاعل لذلك الأمر لا خالق له، أو على أنه سبب فيه لا مستقل به، أو على أنه يملكه ملكا مقيدا لا مستقلا ولا مطلقا.

فهذه الجهات الثلاث من أهم المصححات التي تبنى عليها نسبة ما ثبت كونه خاصا بالله إلى المخلوق.

ومنه تعلم أن ما نسب إلى المخلوق ليس في الحقيقة ما هو خاص بالله تعالى، وإنما هو خاص بالمخلوق، فالمثبت لله تعالى ليس هو المثبت للمخلوق، والمنفي عن المخلوق ليس هو المثبت له، فالخلق الخاص بالله تعالى ليس هو الخلق المثبت لبعض البشر، والنصر الخاص بالله تعالى ليس هو النصر المثبت لبعض الخلق، والهداية الخاصة بالله ليست هي الهداية المثبتة للمخلوق، فلم يقع في تلك الأفعال نفي وإثبات على محل واحد وجهة واحدة، وإنما وقع النفي والإثبات على جهات متعددة، وموجب ذلك أن نسبة الأفعال إلى فاعليها مختلفة في طبيعتها وأحكامها.

في الإشارة إلى هذا المعنى يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): "الله سبحانه وتعالى لا ينفي شيئا ويثبته إذ الجمع بين نفيه وإثباته تناقض... ولكن المنفي غير المثبت فالذي ينفيه في موضع ليس هو الذي يثبته في موضع آخر.

ولكن هؤلاء الضلال يجعلون المنفي عين المثبت فيكون ما يضاف إلى الرب سبحانه و تعالى بطريق التوحيد يضاف إلى غيره بطريق السبب والحكمة، ولهذا قالوا: إن كل ما يطلب من الله يطلب من غيره بهذا الطريق، فأشركوا في ربوبية الله تعالى

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وفي دعاء الله تعالى وعبادته حيث جعلوا ما يضاف إلى المخلوق يضاف إليه تعالى فصار حقيقة قولهم أن المخلوق تضاف إليه مفعولات الله تعالى كلها، ويطلب منه مقدورات الرب كلها لما في الخلق من السبب و الحكمة، ولم يعلم هؤلاء الجهال أن السبب لا يستقل بالتأثير، بل تأثيره متوقف على سبب آخر وله موانع و حينئذ فلا يجوز تخصيصه بالإضافة إليه و إن كان سببا"(١).

الثاني: الطريق التفصيلي، وذلك بأن يبين المعنى الصحيح في كل فعل من تلك الأفعال التي نسبت إلى الله على أنها خاصة به، ومع ذلك نسبت إلى المخلوق، وتتبع ذلك مما يطول به المقام، ولكن سنقتصر على مثالين يتضح بهما الكلام :

المثال الأول: إثبات النصر والتأييد لبعض المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقد أثبتت النصوص بأن النصر لا يكون إلا من عند الله كما سبق بيانه.

ولكن هذا ليس مشكلا؛ لأن النصر المثبت للمخلوقين ليس هو النصر الخاص بالله تعالى، وإنما هو نصر متعلق بالأسباب ومقيد بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فالمخلوق لا يستقل بالنصر ولا يستطيع أن يأتي به في كل حال، وإنما هو مقيد بما يخلقه الله من الأسباب ومقيد بحال معين وزمان معين ومكان معين.

وفي بيان هذا المعنى يقول ابن تيمية: "أما قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦]، فهذا النصر المنفي في هذه الآية عن غير الله لم يثبته الله لغيره قط، والذي ذكره في قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢]، ليس هذا هو ذاك... فالنصر لا يحصل بمجرد هذا إن لم يحدث الله ما به ينتصر المؤمنون؛ وذلك لأن المقاتل من الملائكة والبشر غاية قدرته حركة نفسه، وأما ما يتولد عن ذلك فهو لا يستقل به...

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، ابن تيمية: ٤٢٥/١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

فالنصر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦]، لا يقدر عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا يقدر عليه إلا الله تعالى، ليس في الموجودات سبب يحصل به هذا النصر ولا موجب له إلا مشيئة الله تعالى"(١).

المثال الثاني: إثبات البقاء والدوام لبعض الخلق، كالجنة والنار، فهي باقية دائمة أبدية، وهذا يعارض تفرد الله تعالى بكونه الآخر الذي ليس بعده شيء، وهذا الأمر من أظهر خصائص الله تعالى.

ولكن هذا الأمر ليس مشكلا، وليس فيه أن بعض المخلوقات متصف بشيء من خصائص الله؛ لأن مجرد استمرار الوجود إلى غير نهاية ليس هو خاصية الربوبية، وإنما خاصيتها اجتماع الأولية والآخرية، فالله تعالى لا أول لوجوده ولا آخر لوجوده، فلو وُجد هذا الوصف في مخلوق لكان متصفا بشيء من الربوبية.

ثم إن الذي من خصائص الربوبية هو البقاء المصاحب للأزلية وليس مجرد البقاء، وفي التنبيه على هذا المعنى وذِكْر الفرق بين بقاء الله وبقاء بعض المخلوقات يقول قوام السنة الأصفهاني: "قيل معنى الباقي: الدائم الموصوف بالبقاء الذي لا يستولي عليه الفناء، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما، وذلك أن بقاءه أبدي أزلي، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي ما لم يزل والأبدي ما لا يزال، والجنة والنار كائنتان بعد أن لم تكونا"(٢).

ثم إنه لا دليل على أن ثم شيئا معينا من الجنة والنار باقيا لا يزول أبدا، وإنما غاية ما في النصوص أنها دار باقية على أهلها، وهذا البقاء يمكن أن يتصور بتجدد أفراد ما فيها؛ فالجنة مكونة من مكونات كثيرة جدا لا حصر لها، وكل مكون من مكوناتها يتجدد في نفسه، فلا وجود لشيء معين منها باق إلى الأبد، وكذلك الحال في النار.

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، ابن تيمية: ١/٤٢٩-٤٣٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة الأصفهاني: ١/١٢٨ .

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر بمنه وكرمه إتمام هذا البحث، الذي أسأل الله تعالى أن يجعله نافعا مباركا، وقد انتهيت فيه إلى عدد من النتائج والتوصيات، من أهمها:

الأمر الأول: أن الشريعة لم تعتمد نوعا واحدا من الدلائل في إثبات خصائص الله تعالى، وإنما اعتمدت مسالك متنوعة في أساليبها ومعانيها.

الأمر الثاني: أن ثمة علوما متعددة اهتمت بالمسالك الشرعية الدالة على الخصائص الإلهية، فلا بد من الاهتمام بتلك العلوم وإبراز ما تضمنته من دلائل.

الأمر الثالث: من أهم ما يحتاجه هذا الموضوع إفراد كل نوع من خصائص الله بدراسة خاصة عن مسالكه الدلالية، فتفرد الخصائص في الربوبية والصفات بدراسة خاصة وكذلك الحال في الخصائص في توحيد الألوهية.

الأمر الرابع: يحسن أن تعقد الدراسات العلمية الموسعة في بيان أثر دلالة الحصر والقصر في مسائل العقيدة، ولهذه الدلالة آثار واسعة في عدد من المسائل.

الأمر الخامس: تميزت بعض التفاسير بإبراز الدلالات النقلية على الخصائص الإلهية، فمن أهم ما ينبغي أن تفرد تلك التفاسير بدراسات خاصة لجمع ما فيها من مادة علمية نافعة في هذه الموضوع المهم، ومن أهم تلك التفاسير: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، وروح المعاني للألوسي (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م).

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

قائمة المراجع

١. إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تح: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.
٤. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط٣.
٥. البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، تح: مجموعة من الباحثين، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ.
٦. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر.
٧. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لعبد الرحمن السعدي، تح: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ.
٨. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، تح: مجدي باسلوم، ط١، ٢٠٠٥م.
٩. التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.
١٠. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح: سامي السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
١١. التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٢. تلخيص كتاب الاستغاثة، لابن تيمية، تح: محمد بن علي عجال أبو عبد الرحمن، دار الغرباء، ط١، ١٤١٧هـ.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

١٣. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، دار الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تح: عبدالله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٥. الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة الأصبهاني، تح: محمد المدخلي وآخر، دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ.
١٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم.
١٧. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تح: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١-١٤٠٣هـ.
١٨. دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، لمحمود توفيق سعد، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠١١م.
١٩. روح المعاني، للألوسي، تح: علي عطية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٠. شرح المفصل، لابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. شرح تنقيح الفصول، للقرافي، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية، ط١، ١٣٩٣هـ.
٢٢. الكشاف، للزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث.
٢٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.
٢٤. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، جامعة الإمام محمد ابن سعود-١٤١٨هـ.
٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٦. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، تح: مروان الشعار، دار النفائس،

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ط١، ٢٠٠٥م.
٢٨. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٢٩. المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن، تح: دغش بن شبيب العجمي، دار أهل الأثر، ط١، ١٤٣٣هـ.
٣٠. المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار، تح: مجموعة من الدارسين، بدون بيان النشر.
٣١. المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري، تح: لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر، ط١، ١٤٣٣هـ.
٣٢. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تح: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد، ط١-١٤٠٦هـ.
٣٣. النبوات، لابن تيمية، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، دار أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٤. نظم الدرر في نظم الآيات والسور، للبقاعي، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٥. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، للكرجي القصاب، تح: جماعة من المحققين، دار ابن القيم، ط١،١٤٢٤هـ.
٣٦. نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، لابن رجب، تح: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر، ط٣، ١٤١٤هـ.